

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فاتحة المجتاه

الحمد لله الواحد المعبود، الذي أَلَّفَ بين المؤمنين الموحدين
بكتابه المنزل، ونبه المرسل، والصلاة والسلام على المصطفى
المختار محمد ﷺ الذي هدانا الله به إلى الصراط المستقيم، وخلصنا
به من الخيرة والضلال، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، وعلى
من سار مسارهم، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعده:

فقد دعيت في السنة الماضية (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) للمشاركة
في مؤتمر جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت الذي عنونوا له بـ
«الأسس الفكرية لوحدة الأمة الإسلامية» وقد عقد هذا المؤتمر في
يومين في اليوم الثالث والرابع من شهر ذي القعدة، ويوافق الثالث
عشر والرابع عشر من شهر تشرين الثاني، وقد شذني المؤتمر إليه،
فهو يبحث في قضية من أهم القضايا الإسلامية، وهي وحدة الأمة
الإسلامية، وقد زاد من اهتمامي بموضوع المؤتمر أن أحد مباحثه
الرئيسة تدور حول الشيخ العلامة الحبر الفهامة شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب، أحد بناء الأمة الأفاضل في القرون الأخيرة،
الذي خلص الله به الأمة مما أصابها من ضياع التوحيد، والتوغل
في الشرك، والخرافة والدجل.

وللشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مكانة خاصة في
نفسي، فقد قدر الله لي أن أدرس دعوة الشيخ وسيرته، كما درست
مؤلفاته ورسائله، ذلك أنني درست الستين الأخيرتين من المرحلة
الابتدائية، ثم درست المرحلة الثانوية كلها في المعاهد العلمية في
الرياض، وتابعت المشوار بالدراسة في كلية الشريعة بالرياض حتى
حصلت على إجازتها، ودرست على جمع طيب من المشايخ الذين
حملوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأعظمهم شيخنا الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وأنا أعتقد جازماً أنه لا غنى لمن أراد
أن يدرس الأسباب التي أدت إلى تأخر الأمة وتحلفها وانحطاطها،
والأسباب التي تؤدي إلى النهوض بها، لا غنى له عن دراسة سيرة
هذا العلامة الفذ.

لقد درست الورقتين المقدمتين للمؤتمر عن الشيخ محمد بن
عبد الوهاب، ودرست قبل انطلاقي للمؤتمر ما وقع بين يدي من
كتب تحدثت عن الشيخ، ثم تابعت الدراسة عقب عودتي إلى مقر
إقامتي في عمان الأردن، وكانت نتيجة ذلك كله هذا الكتاب الذي

يتحدث عن سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويتحدث عن
دعوته.

وقد عمقت هذه الدراسة صلتي بالشيخ رحمه الله تعالى
وبمؤلفاته ورسائله، وقد أيقنت بأن الشيخ رحمه الله قام بعمل قلّ
نظيره تجاه المسلمين في الجزيرة العربية خاصة، والعالم الإسلامي
عامه.

لقد نجح الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب قبل ثلاثمائة
سنة تقريباً بما لم ينجح فيه علماء أعلام من قبله ومن بعده، لقد وُحِدَ
الأمّة الإسلامية في الجزيرة العربية على كلمة التوحيد، وخلصها
من الشرك الذي تمثل في عبادة الأموات، وأقام دولة تدين
بالإسلام دون سواه، بعيداً عن العصبية القبلية، والعصبية المذهبية،
وبعيداً عن البدع والخرافات والفرقة، وأقام دولة واحدة تدين
بالإسلام دون سواه، وهدم القباب المبنية على القبور التي كانت
تُقصد من دون الله، وأثر في الجزيرة العربية، وخارج الجزيرة،
ورسم طريق الإصلاح.

لقد أثار الشيخ محمد الناس جميعاً بدعوته، فاتبعه كثير من
الناس، وخطبوا السيف، مدافعين عن دعوته، وحراروا من أراد هدم
الدعوة، ومحق الدعوة الذين رضوا بها، وقام آخرون يرمون دعاة

التوحيد من هنا وهناك بنبأهم، ويحاولون قتل دعوتهم في مهدها، وكان آخر ما قاموا به أن أرسلوا جيوشهم الجاراة من تركيا ومصر، فخاض أتباع دولة التوحيد سبع سنوات من الحروب انتهت بالقضاء على تلك الدولة الفتية.

هدمت الدرعية سنة (١٢٣٣هـ)، وشرد أتباع الدعوة بعد أن هدمت دولتهم، ولكن البذرة الخيرية الطيبة كانت قد استقرت في النفوس، فلم تمضِ خمس سنوات أخرى حتى عادت الدولة إلى مثل ما كانت عليه، ففي عام ١٢٣٩هـ أعاد الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود الأمر إلى ما كان عليه، وأصلح ما أفسده الخسوم، وانتظمت مسيرة الإصلاح تحت إمرته.

إن الناظر في دعوة الشيخ وسيرته تطالعُه ثلاثة أمور في غاية الأهمية:

الأول: أن الشيخ تلقى العلم الصحيح الذي أهله إلى أن يصوغ نفسه وأتباعه على هدى من ربه، وقد عني بفقهِ التوحيد الحق، والخلاص من الشرك، وهدى إلى البصيرة في تربية الرجال وسياستهم، وقد كان بين أتباعه العالم المعلم المربي، والقائد الموجه، والسياسي المحنك.

الثاني: عندي الشيخ إلى معرفة الداء العضال الذي أصاب الأمة الإسلامية، وهدني إلى محاربته، وهذا الداء هو الجهل بالتوحيد، واتخاذ الأنداد من دون الله، وقد وجه جهوده العلمية والدعوية إلى محاربة هذا الداء، وتخليص الناس من حبائله.

الثالث: لم يكتف الشيخ بالدعوة إلى الله باللسان والقلم، ولكنه تحالف مع القوة السياسية الحاكمة، ففي العيينة ناصره أميرها، فقام الشيخ بالدعوة والتدريس، وتولى القضاء، ونفذ الأحكام الشرعية، وهدم القباب القائمة على القبور، وسوى القبور المشرفة، وأقام الناس على الدين الحق، فلما توقف أمير العيينة عن نصرته خرج الشيخ إلى الدرعية، وحالف أميرها محمد ابن سعود، وكان لهذا التحالف دوره في إقامة دولة عظيمة، تدين بالحق وتنصره.

ومن الفوائد العظيمة التي نستفيدها من سيرة الشيخ في دعوته أن الله كتب لها النجاح، فقد امتدّ عمر الشيخ حتى ناف على التسعين عاماً، ورأى جهوده تثمر في حياته، لقد هيمنت الدولة الفتية على الجزيرة العربية، وضمت الحجاز، ووصلت إلى اليمن، وقازيت الشام، ولولا الحزب التي واجهت بها تركيا ووالي مصر إبراهيم باشا هذه الدعوة لكان لها شأن آخر.

يقول الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي في شأن هذه الدعوة وعظم أمرها: «لقد كانت دعوة الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أعظم أحداث القرن الثاني عشر الهجري، ليس في جزيرة العرب وحدها، ولكن في العالم الإسلامي كله، وفي ظني أنها من أعظم حركات الإصلاح في التاريخ الإسلامي بعد أن توقف المد الإسلامي، وضعف كيان الدولة الإسلامية، ولا أبالغ إن قلت: إنه لم يسبقها نظير لها، ولم يأت بعدها مثيل.

وميزتها لا تتمثل في شيء جديد في مبادئها وما دعت إليه، فإنها لم تأت بجديد، ولا جديد في الإسلام، فهو أحكام ووحى نزل من عند الله - تبارك وتعالى - على محمد ﷺ، فبلغ رسالة ربه، وأدى أمانته، وأكمل الله للمسلمين دينهم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وانقطع الوحي بوفاة، عليه أفضل الصلاة والتسليم، ولم يبق أمام أمته وأتباعه إلا اقتفاء أثره، والاستقامة بالمحجة البيضاء التي ترك الأمة عليها». [انظر هذا الكلام في مقدمة الجزء الثاني عشر من السفر الذي جمعه جامعة الإمام من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والمعنون له بـ «ملحق المصنفات»، ص ١].

ويقول فضيلة الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق مبينا في ورقته التي قدمها إلى المؤتمر المذكور مبيناً أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي: «نقلت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب العالم الإسلامي على العموم والجزيرة العربية على الخصوص من أوضاع أشبه بأوضاع الجاهلية الأولى إن حال من الإسلام والإيمان والدعوة والجهاد في سبيل الله أشبه بما كان عليه الصدر الأول في الإسلام.

فقد كانت الجزيرة العربية بما فيها مكة والمدينة أشبه بما كان عليه أهل الجاهلية من عبادة القبور والأحجار والأشجار والأوثان، ومن الجهل بعموم أحكام الإسلام، هذا إلى قطع الطريق والإفساد في الأرض ونهب الحجيج، وتبديل مشايخ الضلال لدين الإسلام.

وجاءت دعوة الشيخ التي بدأها في حريملاء ثم في العيينة مسقط رأسه، ثم في الدرعية حيث تم العقد بين أميرها محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبدالوهاب فالتقى القرآن والسلطان وقامت دولة للإسلام أشبه بالدولة الأولى في المدينة النبوية المنورة».

وقد زالت كثير من مظاهر الشرك والوثنية التي حاربها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذا العصر، ولكن المؤامرات التي صنعها أعداء الإسلام عظمت وازداد البلاء، فقد قسمت ديار الإسلام إلى دول كثيرة، وتسابقت الدول الكافرة إلى إذلال شعوبنا ونهب خيراتها، وارتفعت إرادة الأمة، وأصبح البلاء الذي حلُّ بأمتنا عظيماً.

وقد ألف مؤلفون في رسم مسار نهضة الأمة، وعقدت مؤتمرات، وكتبت مقالات، وقد ارتأيت أن أعيد النظر في دراسة التجربة العظيمة التي أقامها الشيخ محمد عبد الوهاب في إقامة الأمة الإسلامية، فتجربته كانت تجربة كاملة، أتت أكلها الطيبة في حياته، ومن اطلع عليها بكل أبعادها، رآها دعوة منقادة لدعوة الرسول ﷺ، توجهت لإحياء الأصل الذي جاء به القرآن، والناس يفقهون الأمر الذي صاغ الحياة بالإسلام، أكثر مما يفقهون الأمور العلمية المجردة، والفقهاء السياسي، والبعد العقدي، ولذلك تكفل الرسول ﷺ لأئمة ببقاء الدين الحق المتمثل بالكتاب والسنة كما تكفل له بقاء فئة من الأمة ظاهرة على الحق إلى يوم القيامة.

وهذه الفئة تمثل الحق في الواقع المشهود، كما يمثل الكتاب والسنة الحق في واقع العلوم.

ولعل عرض تجربة الشيخ محمد رحمه الله بكل أبعادها تفيد
الدعاة والعلماء والباحثين في مسار الأمة، وترتقي بالجهود المبذولة
في هذا السبيل، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا
يعلمون.

عمر سليمان عبد الله الأمازيغ

عمان - الأردن

٢٧ من جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ

١ حزيران (يونيو) ٢٠٠٨ م